

كفالة اليتيم (أبو طالب نموذجاً)

اليتيم عناية فائقة، وحثت على رعايته والمحافظة على أمواله، وحذرت من التجاوز على حقوقه. ومن جهة أخرى فقد أهابت بالمحسنين أن يقوموا بتهذيبه وتأديبه كما يراعي الوالد أبناؤه، ويمكن اختصار أهم الواجبات التي يجب على المجتمع المسلم مراعاتها والاهتمام بها في رعاية الأيتام بالآتي:

١- رعاية شؤونه المادية وحفظ حقوقه وممتلكاته حتى يبلغ. قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾^(١).

٢- الرعاية التربوية والاجتماعية والمعنوية لليتيم.

٣- تربيته على متطلبات الحياة وتأهيله لخوض غمارها بثبات ونجاح وسعادة.

٤- احتضانه معنوياً وحفظ حقوقه المعنوية.

وتقع هذه المسؤوليات على المجتمع بمختلف شرائحه ومستوياته الاجتماعية كل بحسب ما يملك من طاقات وامكانيات.

٤- منزلة أبو طالب:
إنَّ لأبي طالب ﷺ منزلة عظيمة عند الله عزَّ وجلَّ، وكفاه

بلوغ مدارك الرجال. وحينئذٍ، فينتقل من مرحلة الطفولة، وهي مرحلة عدم المسؤولية إلى مرحلة العبء الاجتماعي، والمسؤولية الشرعية التي تفرض على الرجال البالغين.

٢- اليتيم في آيات الكتاب الكريم: ذكر اليتيم في اثنتين وعشرين آية^(١) مقسمة إلى أقسام ثلاثة:

- القسم الأول: تعرّض إلى بيان شمول اللطف الإلهي له في الشرائع السابقة، والايضاء به.

- القسم الثاني: تعرض إلى بيان حقوقه الاجتماعية.

- القسم الثالث: وقد ركّز هذا القسم على بيان حقوقه المالية.

وتناولت بعض الآيات بشكل خاص يتامى آل النبي محمد ﷺ تمييزاً لهم في بعض الحقوق المالية عن بقية اليتامى لأداء بعض ما للنبى الأكرم ﷺ من حق على الناس.

٢- واجبات المسلم تجاه اليتيم:
لقد أولت الشريعة الإسلامية

(١) سورة البقرة: آية (٨٣)، ١٧٧، ٢١٥، ٢٣٠. وسورة النساء: آية (٢، ٣، ٦، ٨، ١٠، ٣٦، ١٢٧).

وسورة الأنعام: آية (١٥٣)، وسورة الانفال آية (٤١) وسورة الاسراء آية: (١٧) وسورة الكهف: آية (٨٢)، وسورة الحشر: آية (٧) وسورة الإنسان: آية (٨) وسورة الفجر: آية (١٧) وسورة البلد: آية (١٥) وسورة الضحى آية (٦)، وسورة الماعون آية (٢).

محاور الموضوع الرئيسية:

- اليتيم في اللغة والاصطلاح.
- اليتيم في آيات الكتاب الكريم.
- واجبات المسلم تجاه اليتيم.
- منزلة أبو طالب وكفالاته للنبى ﷺ.

الهدف: التعرف على واجبات المسلم تجاه الأيتام، ودور أبو طالب في كفالة النبي ﷺ ورعايته.

تصدير الموضوع:

عن أبي عبد الله قال: «نزل جبرئيل على النبي ﷺ: يا محمد إنَّ ربَّك يقرئك السلام ويقول: إنِّي قد حرَّمت النار على صلب أزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك فأمنة بنت وهب، وأمَّا حجر كفلك فحجر أبي طالب»^(١).
(١) الكافي: ١/ ٤٤٦/ ح ٢١.

١- اليتيم في اللغة والاصطلاح:

اليتيم هو: الفرد من كل شيء، يقال: بيت يتيم، وبلد يتيم. ومن الناس من فقد أباه.

ويتفق الفقهاء مع اللغويين بتحديد اليتيم، فهم يرون أنه الطفل الفاقد للآب إلى حد البلوغ الشرعي، أي

إليه يصعد الكلم الطيب

كفالة أبي طالب للنبي ﷺ:

عنهما، فلم يصل لرسول الله ﷺ من قومه ذلك السوء مدة بقاء عمّه أبي طالب ﷺ، ولقد كان يتظاهر بنصرة ابن أخيه تقية، فهو مؤمن قريش ﷺ.

إنّ أبا طالب لم يتخلى عن حماية ونصرة الرسول ﷺ حتى آخر لحظات عمره الشريف، بحيث أوصى أقاربه وأصحابه بأن يدافعوا عنه وينصروه، ولذا كان رسول الله ﷺ يحب أبا طالب ويثني عليه طيلة حياته، ولما سمع بموته حزن عليه حزناً شديداً، ثم قال لعلي ﷺ: «أَمْضِ فتولّى غسله، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني»، ففعل فاعترضه رسول الله ﷺ وهو محمولٌ على رؤوس الرجال، فقال ﷺ: «يا عم جزيّت خيراً، فلقد ربّيت وكفّلت صغيراً ونصرت وأزرت كبيراً، أما والله لأستغفرنّ لك ولأشفعنّ فيك شفاعةً يعجب لها الثقلان»^(٤).

ثم دفن في مقبرة الحجون. وفي وصيته عند مماته يقول: «يا معشر بني هاشم أطيعوا محمداً وصدّقوه تفلحوا وترشدوا، يا معشر قريش كونوا له ولاية ولحزبه حُماة، والله لا يسلك أحدٌ منكم سبيله إلا رشدٌ ولا يأخذ أحدٌ بهديه إلا سَعِدَ»^(٥).

توفي أبو النبي ﷺ عبد الله بن عبد المطلب، وكان النبي حملاً في بطن أمه آمنه، وبعد ولادته تكفّله جدّه عبد المطلب (واسمه شيبه الحمد) بن هاشم، وعند ما حضرت وفاة عبد المطلب أوصى ولده أبا طالب برعايته الرسول ﷺ وتكفّله والحفاظ عليه، وكان عمره الشريف ثمانين سنين، ولم يكن أبو طالب أكبر ولد عبد المطلب ولا ميسور الحال ولكن توسّم فيه خصال الرعاية الوافية للرسول ﷺ، وكان رغم فقره أبذل إخوته وأسخاهم وأعلامهم مكانة اجتماعية في قريش.

فتكفّله أبو طالب ورعاه رعاية بالغة خاصة فاقت رعاية أولاده، وكان يحبّ النبي ﷺ حباً شديداً، وإذا رآه يبكي وهو طفل يقول: «إذا رأيته ذكرت أخي عبد الله»، وكان عبد الله، أبو النبي ﷺ أخاه لأبويه. وكان ينميه جنبه، ويخرجه معه حفاظاً عليه، ويختصّه بالطعام، وهذا حال زوجته فاطمة بنت أسد معه.

ولقد استسقى أبو طالب عمّ النبي ﷺ بالنبي الأكرم ﷺ وهو صغير فهطل المطر بعد تراكم من هنا وهناك، وأغدق فأخصبت الأرض، وقد تحمّل أبو طالب ﷺ في سبيل الرسالة والحفاظ عليها وعلى الرسول الأذى الكثير من قومه دفاعاً

فخراً ومنزلة كونه حامياً وناصراً لرسول الله ﷺ، ولذلك هبط جبرائيل على رسول الله عند موته وقال: يا محمد، أخرج من مكّة فليس لك فيها ناصر، على ما رواه الكليني في الكافي^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين^(٢).

وفي رواية: قلت لأبي عبد الله ﷺ: إنّ الناس يزعمون أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار. فقال: كذبوا ما بهذا نزل جبرائيل على النبي ﷺ. قلت: وبما نزل؟ قال: أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال: يا محمّد، إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول لك إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله بالجنة. ثم قال ﷺ: كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد: أخرج من مكّة فما لك بها من ناصر بعد أبي طالب^(٣).

(١) الكافي: ١/ ٤٤٩ ح/ ٣١، وانظر شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩.
(٢) الكافي: ١/ ٤٤٨ ح/ ٢٨، الحجّة: ٣٤١.
(٣) البحار: ١١/ ٢٥ ح/ ٤٣.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، من كتاب له إلى معاوية.
(٥) السيرة الحلبية: ١: ٢٩٢.